رَدُّ الصَّارِمِ المصقُولِ

إلى نَحْرِ شَاهِرِه المخذُولِ

الجاهلِ العابثِ بالأُصولِ

(نقد لفالح الحربي)

(الحلقة الثانية)

كتبه

ربيع بن هادي بن عُمير المدخلي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه أما بعد :

فقد كنتُ كتبتُ نصيحة لفالح بتاريخ **٢٤ صفر ١٤٢٥هـ** ضمَّنتُها عددا من المسائل من جملتها طلب الرِّفق بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم –الدَّعوةِ السلفية– ،وأن يسير وراء علمائها في مراعاة المصالح والمفاسد وسدِّ الذرائع حمايةً لها ورفقاً بها وبأهلها ،وضمَّنتها مثالين :

- **أحدهما** : من القرآن وهو قول الله تعالى : (**وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ**) (الأنعام من الآية ١٠٨) وبيَّنتُ أنَّه أصلٌ في سد الذرائع .
- **والثاني** : ما حصل في صلح الحديبية من تسامحه صلى الله عليه وسلم بعدم كتابة (**بسم الله الرحمن الرحيم**) وعدم كتابة (**محمد رسول الله**) صلى الله عليه وسلم وما تضمنه هذا الصلح من المصالح ودرء المفاسد .

فأبى فالح هذه النصيحة بل أبى نصح الناصحين غيري وتمادى في ظلمه وتعسفه ،ثم شرع يُقلِّبُ الأمور رأساً على عقب ،بل ارتكب أكبر من هذا فحوَّل النّاصحين إلى مجرمين منكرين لأصول الدِّين ،منكرين لرسالة سيِّد المرسلين فيا للهول بل الأهوال !

ما سمعنا بمنصوح يفعل بالنَّاصحين هذه الأفاعيل بل يثير حولهم الأعاصير ! .

وسأناقشه في هذه الحلقة في ثلاث مسائل :

– المسألة الأولى : دعواه أنِّي اعتبرتُ سبَّ الأوثان أصلاً وبيان بطلان هذه الدَّعوى :

– قال فالح في الصارم المصقول (ص١٣–١٤) : " ٢ – النهي عن سب أوثان

المشركين .

قال المدخلي ص٧" خذ مثلاً قول الله تعالى :((**ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم**)).

فإن سب أوثان المشركين حق وقربة إلى الله وإهانة للأنداد، لكن لما كان يؤدي إلى مفسدة كبرى هي سب الله وجب تركه، **فليس هذا العمل من باب الفروع وإنما هو من باب الأصول والعقائد.**

– والجواب :

كيف يقال إن سب أوثان المشركين أصل تسامح فيه الرسول صلى الله عليه وسلم؟ هذا شيء غريب!! ؛مجرد لفظ سبها أصل؟!! ،ولا شك أن هذا غير صحيح وغلط، **بل إن سبها من الأمر الجائز أو المستحب الذي نهى الشرع عنه لما كان يؤدي إلى محرم ألا وهو سب الله تعالى فنهى عن ذلك لدرء مفسدة أكبر وهي سب الله عز وجل " اهـ.**

– أقول :

١– أنا قلت : (إن ترك النبي صلى الله عليه وسلم بناء الكعبة من ترك مصلحة مرجوحة لدرء مفسدة كبيرة، درؤها هو الراجح والمقدم.

هذه المفسدة هي خشية أن ترتد قريش وغيرهم من العرب لمكانة الكعبة في نفوسهم ،ونفوس آباءهم وأجدادهم، إذ هي مصدر فخرهم واعتزازهم.

فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم هدم الكعبة وبناءها على قواعد إبراهيم لدرء هذه المفسدة.

فعمل الرسول هذا تقعيد لقاعدة عظيمة، وتأصيل متين لأمته ليواجهوا به الأحداث والمشاكل الدينية والسياسية والاجتماعية وغيرها.

وإذن فترك الرسول صلى الله عليه وسلم لهذا العمل ليس من باب ترك عمل فرعي ،وإنما هو دفع للفتنة وتأصيل للأمة لتواجه به الأخطار والمشاكل والفتن.

ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح ، وسد الذرائع المفضية إلى الأضرار والمفاسد من الأصول العظيمة التي لا يقوم الإسلام وحياة المسلمين إلا عليها.

خذ مثلاً قول الله تعالى :(**وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ**) (الأنعام ١٠٨)

فإنَّ سبَّ أوثان المشركين حق وقربة إلى الله وإهانة للأنداد ،لكن لما كان يؤدي إلى مفسدة كبرى هي سب الله وجب تركه، فليس هذا العمل من باب الفروع، وإنما هو من باب الأصول والعقائد) اهـ.

– وأقول :

أ – انظر إلى قولي : (فعمل الرسول هذا تقعيد لقاعدة عظيمة، وتأصيل متين لأمته ليواجهوا به الأحداث والمشاكل الدينية والسياسية والاجتماعية وغيرها.

وإذن فترك الرسول صلى الله عليه وسلم لهذا العمل ليس من باب ترك عمل فرعي، وإنما هو دفع للفتنة وتأصيل للأمة لتواجه به الأخطار والمشاكل والفتن).

إذن فهذا تنويهٌ بعظمة الرسول صلى الله عليه وسلم وبما يُؤصِّله لهذه الأمة لمواجهة الأحداث والمشاكل والفتن وليس حديثاً عن الفروع .

ب– وانظر إلى قولي : (ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح ، وسد الذرائع المفضية إلى الأضرار والمفاسد من الأصول العظيمة التي لا يقوم الإسلام وحياة المسلمين إلا عليها) .

أَلاَ تراه إشادة عظيمة بمنهج الرسول صلى الله عليه وسلم في مراعاة المصالح والمفاسد وسد الذرائع وإشادة بأصوله العظيمة صلى الله عليه وسلم .

فسياق الحديث ليس عن الفروع وإنَّما لبيان عظمة التأصيل لهذا الدِّين الذي قام –كما يقول فحول العلماء– إنَّ الدّين الإسلامي وشرائعه قائمة كلُّها على مراعاة المصالح والمفاسد .

ج– ثمَّ ضربتُ مثالاً لتطبيق بعض هذه القواعد والأصول العظيمة بقولي : (خذ مثلاً قول الله تعالى : (**وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ**) (الأنعام ١٠٨)

فإن سب أوثان المشركين حق وقربة إلى الله وإهانة للأنداد، لكن لما كان يؤدي إلى مفسدة كبرى هي سب الله وجب تركه، فليس هذا العمل من باب الفروع، وإنما هو من باب الأصول والعقائد) اهـ.

فقوله : "كيف يقال أن سب الأوثان أصل تسامح فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ... " .

– **جوابه** :

١– إنَّ الموضوع الأساسي إنَّما كان في تقرير جلب المصالح وترك المفاسد ومنه سد الذرائع الأمور التي كان ينكرها فالح .

فسقت الآية لبيان قاعدة سد الذرائع وكلامي واضح لا غبار عليه ولا يعترض عليه إلا جاهل .

٢– أنا لم أقل إن سب أوثان المشركين أصل تسامح فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما قلت : فإن سب أوثان المشركين حق وقربة وإهانة للأنداد ، لكن لما كان يؤدي إلى مفسدة كبرى هي سب الله وجب تركه لأن سابها يصير ساباً لله حيث كان سبباً في سب الله .

فهل ترك عمل يؤدي إلى سب الله ، وسب الله كفر أكبر يعتبر من الفروع ؟ وهل سد الذريعة إلى ذلك يُعتبر عملٌ تطوعيٌ يُستحب تركه وللمسلم أن يفعله أو هو واجب وأصل ؟ ومن تعمد فعله فإنه سابٌ لله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من الكبائر شتم الرجل والديه ، قالوا يا رسول الله : وهل يشتم الرجل والديه ؟ قال : نعم يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه " رواه مسلم حديث (٩٠) .

قال النووي في شرح هذا الحديث : " ففيه دليل على أن من يتسبب في شيء جاز أن ينسب إليه ذلك وإنما جعل هذا عقوقاً لكونه يحصل منه ما يتأذى به الوالد تأذياً ليس بالهين ... وفيه قطع الذرائع فيؤخذ منه النهي عن بيع العصير ممن يتخذ الخمر ، والسلاح ممن يقطع الطريق ونحو ذلك " اهـ .

فالمتسبب في شتم والديه مرتكب كبيرة ، والمتسبب في سب الله متسبب في الكفر .

– **وأقول** : إنَّ الآية الكريمة يؤخذ منها هذا **الأصل العظيم** وهو سد الذرائع في أبواب كثيرة .

٣– لقد أهلك فالح نفسه بالكذب وتقليب الأمور وأهلك من وراءه ، فما أسهل الكذب وتقليب الأمور ورد الحق وتزيين الباطل عنده وعندهم ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة .

ومن عجائب هؤلاء القوم أنهم مع هذه الرذائل والكبائر التي يرتكبونها يوهمون الناس أنهم أهل الحق والسنة .

٤– قوله : كيف يقال أن سب الأوثان أصل تسامح فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أقول : من قال هذا حتى تستنكره ؟ إن هذا لهو عين الكذب الذي صار من طباعك .

٥– قولي : فليس هذا العمل من باب الفروع : اسم الإشارة والمبْدَل منه يَعُودان إلى التأصيل الذي قررته وهو سد الذرائع ومن أعاده إلى غيره فهو مكابر مباهت .

٦– هذا الذي قرَّرتُه لا يخالف فيه أهل العلم ،بل هو أمر مقرر عندهم شائع ذائع بينهم .

فقولي : هذا كله حق والحمد لله وليس بِبِدْعٍ ،فالآية جاءت لبيان أصل أصيل

آمن به علماء الأمة وقرَّرُوه .

وأنا ما قلت إن سب الأوثان أصل ، وإنما قلت إنه حق وقربة ..الخ .

ولكن فالحاً افترى ذلك عليَّ ، ثم ذهب ينقل عن العلماء كلاماً يؤيد كلامي من حيث لا يشعر وهو حجة عليه لا له ،وخيل له جهله وهواه أنَّه له والواقع أنَّه عليه ! .

- قال فالح في صارمه (ص١٤-١٦) : " قال ابن العربي [1] في أحكام القرآن (٢/٧٤٣- ٧٤٤) عند قوله تعالى : (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم ..) :" **اتفق العلماء على أن معنى الآية لا تسبوا آلهة الكفار فيسبوا إلهكم ... فمنع الله تعالى في كتابه أحداً أن يفعل فعلاً جائزاً يؤدي إلى محظور**؛ ولأجل هذا تعلق علماؤنا بهذه الآية في سد الذرائع، **وهو كل عقد جائز في الظاهر يؤول أو يمكن أن يتوصل به إلى محظور** [2] ".

وقال:" هذا يدل على أن للمحق أن يكف عن حق يكون له إذا أدَّى ذلك إلى ضرر يكون في الدين".

وقال: " **الحق إن كان واجباً فيأخذه بكل حال، وإن كان جائزاً ففيه يكون هذا القول**".

وقال ابن القيم في إعلام الموقعين(٣/١٧٧) : " فحرم الله سب آلهة المشركين - مع كون السب غيظاً وحمية لله وإهانة لآلهتهم-لكونه ذريعة إلى سبهم الله تعالى وكانت مصلحة ترك مسبته تعالى أرجح من مصلحة سبنا لآلهتهم ،وهذا كالتنبيه

---

(١) ما قاله ابن العربي من أن العلماء قد اتفقوا على معنى الآية في سد الذرائع فحق وأما تخصيصه سد الذرائع بالعقود الجائزة فغير مُسلَّم ، انظر كلام الشوكاني (ص/٩-١٠) والتعليق عليه .

(٢) هذا المثال صحيح ، ويصح أيضاً أن يقال : وكل سبب محظور يؤدي إلى محظور مثله أو أكبر منه فهو حرام مثل النظر إلى الأجنبية ، فإنه محرم ، لأنه قد يؤدي إلى الزنا ، ومثل سب الرجل لأبي الرجل لأنه ذريعة إلى سب والد الساب ، وهكذا فلماذا تهمل سد الذرائع المحرمة المؤدية إلى محرمة ؟.

بل كالتصريح على المنع من الجائز لئلا يكون سبباً في فعل ما لا يجوز [1] ".

فسب آلهة المشركين ليس من الأصول ولكن الأصل هو الكفر بآلهة المشركين [2] ،وهذا لا يمكن التسامح فيه، وهو جزء معنى لا إله إلا الله فهل تنازل النبي–صلى الله عليه وسلم– عنها مع أنها تتضمن أعظم السب لآلهتهم؟!!.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره(٢–١٩٦):" يقول الله تعالى ناهياً لرسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عن سب آلهة المشركين وإن كان فيه مصلحة إلا أنه يترتب عليه مفسدة أعظم منها وهي مقابلة المشركين بسب إله المؤمنين وهو الله لا إله إلا هو" اهـ .

ونقل الحافظ ابن حجر (٤٠٤/١٠) : عند حديث البخاري: " إنَّ من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه ... " الحديث . عن ابن بطال أن هذا الحديث أصل في سد الذرائع ويؤخذ منه أن من آل فعله إلى محرم يحرم عليه ذلك الفعل وإن لم يقصد إلى ما يحرم والأصل في هذا الحديث قوله تعالى : "ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله " الآية .

وقال: "استنبط منه الماوردي منع بيع الثوب الحرير ممن يتحقق أنه يلبسه،...، والعصير ممن يتحقق أنه يتخذه خمراً ".

وقال العلامة ابن سعدي في تفسيره للآية (٢–٤٥٣) : " ينهى الله المؤمنين عن أمر كان جائزاً بل مشروعاً في الأصل وهو سب آلهة المشركين التي اتخذت أوثاناً

---

(١) كلام ابن القيم حجة عليك لأنك لا تراعي المصالح والمفاسد ،ثم أي فرق بين قولي : فإن سب أوثان المشركين حق وقربة إلى الله ، وبين قول الإمام ابن القيم : " مع كون السب غيظاً وحمية لله وإهانة لآلتهم " أليست هذه العبادات القلبية قربة إلى الله ، نعوذ بالله من الجهل والهوى .

ثمَّ إنَّ منهج ابن القيِّم –رحمه الله– معروف أنَّه لا يحصر المصالح والمفاسد وسد الذرائع في المستحبات ؛كيف وهو يقول : " فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد وهي عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها ... " اهـ . من إعلام الموقعين (١٤/٣) .

– وأقول لفالح : هل الشريعة كلها مستحبات فقط ؟!!

(٢) أنا لم أقل : إن سب آلهة المشركين من الأصول ،وإنما الذي قاله وافتراه فالح .

ومن أنكر أنَّ الأصل هو التوحيد والكفر بالطواغيت ؟!

وآلهة مع الله التي يتقرب إلى الله بإهانتها وسبها، ولكن لما كان هذا السب طريقاً إلى سب المشركين لرب العالمين الذي يجب تنزيه جنابه العظيم عن كل عيب وآفة وسب وقدح نهى الله عن سب آلهة المشركين؛ لأنهم يتحمسون لدينهم ويتعصبون له، لأن كل أمة زين الله لهم عملهم فرأوه حسناً وذبوا عنه ودافعوا بكل طريق، حتى إنهم يسبون الله رب العالمين الذي رسخت عظمته في قلوب الأبرار والفجار إذا سب المسلمون آلهتهم " .

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي- رحمه الله- كما في العذب النمير(٥٢٩/٢) عند تفسير هذه الآية:" وهذه الآية الكريمة-من آيات الأحكام- أخذ العلماء منها أصل.. سد الذرائع؛ لأن سب الأصنام بالنسبة إلى ذاته جائز مطلوب، ولكن لما كان هذا الأمر المحمود الطيب-وهو سب الأصنام وتقبيحها- قد يؤدي إلى أمر آخر لا يجوز، وهو سب الله، منع هذا الشيء الطيب سداً للذريعة، وذريعة الشيء: أصلها الطريقة الموصلة إليه.

ومعروف عند علماء الأصول أن الذرائع ثلاثة أقسام: قسم منها يجب سده إجماعاً، كما دلت عليه هذه الآية الكريمة...، ودل عليه الحديث الصحيح المتفق عليه [في سب الوالدين، وقد تقدم طرفه، وأورده الشيخ بعد هذا النقل].

وهذا القسم هو أن يكون هذا الأمر **جائزاً أو مطلوباً**، وليس في نفسه فساد في ذاته، أو فيه خير، إلا أنه يؤدي إلى شر عظيم، كسب الأصنام، **فإنه في ذاته طيب مطلوب**، إلا أنه لما كان يكون سبباً لسب الله كان محرماً...إلخ .

ونقل الألوسي في روح المعاني (٢٥٢/٧) عن أبي منصور قوله: "كيف نهانا الله- تعالى- عن سب من يستحق السب لئلا يسب من لا يستحقه، وقد أمرنا بقتالهم وإذا قاتلناهم قتلونا وقتل المؤمن بغير حق منكر؟ وكذا أمر النبي-صلى الله عليه وسلم- بالتبليغ والتلاوة عليهم وإن كانوا يكذبونه، **وأجاب عنه بأن سب الآلهة**

مباح غير مفروض وقتالهم فرض وكذا التبليغ، وما كان مباحاً ينهى عما يتولد منه ويحدث، وما كان فرضاً لا ينهى عما يتولد عنه ".

– أقول :

كلام هؤلاء العلماء ،السعدي والآلوسي والشنقيطي يؤيد ما قررته أنا والحمد لله ولا اختلاف بين كلامي وكلامهم .

ولا تظن يا فالح أن العلماء يحصرون الذرائع في المباحات والمستحبات . فيكون كلامهم حجة لك ،وقد ضربت لك مثالين من الذرائع المحرمة .

ثم أقوال هؤلاء العلماء كلها حجج دامغة لك ولمنهجك الفاسد ، ألا وهو رفض مراعاة المصالح والمفاسد التي كنت تُذكَّر بها فترفضها وتحتقر من يراعيها .

ثم إن أقوالهم تؤيد قولي إن سب الأوثان قربة إلى الله ، وفيه إهانة لأوثان المشركين ، لكن لما كان سبباً يؤدي إلى سب الله وجب تركه .

ثم قال فالح معلقاً على أقوال العلماء :[هذا حق والحق يؤخذ ممن جاء به، ويرفض ما ليس بحق] " .

أقول :

١– انظر إلى قوله : " هذا حق والحق يؤخذ ممن جاء به ويرفض ما ليس بحق " .

وهو مع الأسف من أشد الناس رداً للحق وحرباً لأهله ، ومن أشد الناس عناداً وتشبثاً بالأكاذيب والأباطيل ونصراً لها ودعوة إليها .

٢– ومن عجائبه أنه شن على السلفية والسلفيين حرباً ضروساً لا يراعي فيها مصالح ولا مفاسد ، ويحكم على المصيب والمخطيء بأحكام لم يسبق إلى مثلها ، مثل الحكم على من يأخذ بقول غيره بأنه كذَّب القرآن والسنة وكذَّب الإسلام .

والحكم على من لا يقلده من حملة العلم المدرسين والدعاة إلى الله بأنه قد نسف رسالات الرسل جميعاً والكتب التي نزلت عليهم وفلان زنديق وفلان مشرك وفلان يقول إن رسول الله تنازل عن رسالته ويدعو إلى التنازل عن أصول الدين يريد تكفيره بهذه الافتراءات .

ثم يقال له استنكاراً لأعماله هذه : ألا تسير وراء العلماء في الأخذ بالمصالح فيتعالى ويرفض الاستفادة من هذا التنبيه إلى الأخذ بالمصالح والسير وراء العلماء بل ويُهين العلماء بطرق ماكرة .

وأكبر أسباب حربه الضروس المستمرة عليَّ وعلى السلفيين إنما هو سير منه على منهجه في الاستخفاف بمراعاة المصالح والمفاسد والاستخفاف بالعلماء .

وتراه هنا ينقل كلام العلماء الذي يتضمن مراعاة المصالح والمفاسد وسد الذرائع كأنه من كبار الدعاة إلى مراعاة المصالح والمفاسد ، فهو تشبع منه بما لم يعط ، وبما يخالف سلوكه ومنهجه .

وقد ظهر جلياً للقاريء المسلم أن ما نقله من كلام العلماء إنما يتضمن تأييدي وهو نصر لي والحمد لله .

والله سبحانه الحكم العدل إنما يستدرجه –بسبب ظلمه وبغيه– إلى أن يستشهد بكلام العلماء ويستكثر منه ليكون من الحجج الواضحة عليه وعلى فساد منهجه الذي أهلك به نفسه وأهلك مقلديه وآذى به المسلمين الأبرياء.

– قال الشوكاني –رحمه الله– في تفسير قول الله تعالى : (وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (الأنعام ١٠٨)

: " الموصول عبارة عن الآلهة التي كانت تعبدها الكفار. والمعنى : لا تسب يا محمد آلهة هؤلاء الكفار التي يدعونها من دون الله، فيتسبب عن ذلك سبهم لله عدواناً

وتجاوزاً عن الحق وجهلاً منهم. وفي هذه الآية دليل على أن الدَّاعي إلى الحقِّ والناهي عن الباطل إذا خشي أن يتسبب عن ذلك ما هو أشد منه من انتهاك حرم، ومخالفة حق ووقوع في باطل أشد كان الترك أولى به، بل كان واجباً عليه، وما أنفع هذه الآية وأجل فائدتها لمن كان من الحاملين لحجج الله المتصدين لبيانها للناس إذا كان بين قوم من الصم البكم الذين إذا أمرهم بمعروف تركوه وتركوا غيره من المعروف، وإذا نهاهم عن منكر فعلوه وفعلوا غيره من المنكرات عناداً للحق وبغضاً لاتباع المحقين وجراءة على الله سبحانه ، فإن هؤلاء لا يؤثر فيهم إلا السيف، وهو الحكم العدل لمن عاند الشريعة المطهرة وجعل المخالفة لها والتجرؤ على أهلها ديدنه وهجيراه كما يشاهد ذلك في أهل البدع الذين إذا دعوا إلى حق وقعوا في كثير من الباطل ،وإذا أرشدوا إلى السنة قابلوها بما لديهم من البديعة (*) ،فهؤلاء هم المتلاعبون بالدين المتهاونون بالشرائع، وهم شر من الزنادقة، لأنهم يحتجون بالباطل وينتمون إلى البدع ويتظهرون بذلك غير خائفين ولا وجلين، والزنادقة قد ألجمتهم سيوف الإسلام وتحاماهم أهله، وقد يتفق كيدهم ويتم باطلهم وكفرهم نادراً على ضعيف من ضعفاء المسلمين مع تكتم وتحرز وخيفة ووجل، وقد ذهب جمهور أهل العلم إلى أن هذه الآية محكمة ثابتة غير منسوخة، وهي أصل أصيل في سد الذرائع وقطع التطرق إلى الشبه "[1]

– أقول :

١– هذا كلام لا يدركه إلا العالمون النبلاء لا الغثاء الجهلاء .

وكثيراً ما يقرر مثل هذا شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم من باب مراعاة المصالح ودرء المفاسد،فإذا كانت المفسدة أكبر من المصلحة التي يدعو إليها

(*) هكذا والصواب : البدعة .

(١) فتح القدير (١٨٦/٢) .

صاحب الحق يجب عليه أن يسكت لأن المفسدة هنا أكبر من المصلحة التي يريد تحقيقها ،ومثل هذا لا يفقهه فالح وحداديته ،بل هم حرب على من يُقرِّر هذا .

٢- وهذا حال أهل البدع والأهواء والأحزاب المنحرفة إذا نهوا عن منكر زادوا عليه منكراً آخر عناداً لأهل الحق وكبراً وبطراً وغمطاً للحق وأهله ، ومنهم الحدادية الشرسة المتخصصة لحرب أهل السنة ،والمسالمة أو لعلها الموالية لأهل البدع .

٣- الشوكاني لا يكفر أهل البدع ولكنه يقصد أن أهل البدع أضر على الإسلام بسبب انتمائهم إليه بل الادعاء بأنهم هم المسلمون حقاً فيكون ضررهم على الإسلام والمسلمين أشد من ضرر الزنادقة المتسترين الخائفين من سيف الإسلام .

- المسألة الثانية : إبطال فرية عظيمة افتراها عليَّ فأوقعه الله فيها جزاء بَغْيِه :

٧- قال فالح في (الصارم المصقول ص/٢٢) : ((٤ - التنازل والتسامح عن كتابة " بسم الله الرحمن الرحيم، وكتابة: "محمد رسول الله".

قال المدخلي(في ص٨) : "وقولك : " عندما اقترح المشركون على رسول الله صلى الله عليه و سلم لم يتنازل عن شيء منها... وأضيف أليس المشركون أنفسهم قد اقترحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أموراً يوم صلح الحديبية للتنازل عنها ، **فلأجل المصالح والمفاسد التي راعاها استجاب لهم فيها وهي من أصول الأصول**".

وقال في ص٩ : " فهل هذا التصرف وهذه الموافقة والتسامح كانت في أمور يسيرة، أو **كانت في أمور كبيرة، وأصول عظيمة...**".

ثم قال فالح : " قلت : التسامح عن كتابة " بسم الله الرحمن الرحيم" إلى " باسمك اللهم"و التسامح في كتابة محمد رسول الله ليس في ترك وصف الله -سبحانه وتعالى- بالرحمن الرحيم ما ينفي ذلك ،ولا على ترك وصفه -أيضاً- صلى الله عليه وسلم هنا بالرسالة ما ينفيها، فلا مفسدة فيما طلبه المشركون وإنما المفسدة لو طلبوا ما لا يحل من تعظيم آلهتهم ونحو ذلك.

ثم لم يتنازل الرسول صلى الله عليه وسلم عن شيء من الرسالة، وإنما تنازل عن لفظ الصفة، وكان ذلك مع أناس مشركين لا يعترفون به أصلاً.

أما كتابة " **بسم الله الرحمن الرحيم**" فكل ما هناك أنه استبدل لفظ [1] بلفظ مثله فـ"**باسمك اللهم**" هي مثل" **بسم الله الرحمن الرحيم**"، وتؤدي المقصود منها هو: تعظيم الله والتيامن باسمه الكريم ".

– أقول :

أ– إن ترك الوصف غير ترك الكتابة ، فالذي ترك الكتابة لم يترك وصف الله بصفة الرحمة ولم يترك وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بالرسالة وهو الذي حصل من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه –رضوان الله عليهم– في الحديبية وهو الذي قررته أنا .

والذي ترك وصف الله بالرحمة جاحد لها على مذهب فالح من باب أولى .

والذي يترك وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بالرسالة متنازل وجاحد له كافر به على مذهب فالح التكفيري ،لأنه جعل قولي تسامح رسول الله بعدم كتابة بسم الله الرحمن الرحيم ،وتسامح بعدم كتابة محمد رسول الله تنازلاً عن الرسالة ، افترى عليَّ هذا ليُكَفِّرني ، كيف وهو يُكَفِّر بأقل من هذا فيلزمه –على مذهبه– تكفير من ترك وصف الله بالرحمة ،ويلزمه تكفير من ترك وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرسالة ومع الأسف فإنه نسب هذا الترك إلى رسول الله وأصحابه فيلزمه على مذهبه التكفيري تكفير رسول الله وأصحابه ، وهذا من ثمار جهله وتهوره في تقويل الناس ما لم يقولوه ولم يعتقدوه

ونتيجة لمنهجه الخارجي التكفيري .

---

(١) كذا !

كيف يرجف عليَّ هو وأتباعه بكلام هو حق ويدندنون حول تكفيري به ثم يجدون للأئمة كلاماً أشد منه على منهجهم فيمرون عليه مر الكرام ! بل يحتجون به عليَّ !! ،والقضية واحدة ،متعلقة برسالة محمد صلى الله عليه وسلم . (**فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ**) (الحشر:٢)

أَيَاَ فالح : أنتَ نسبتَ ترك الوصف في الموضعين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهذا طعن فيهم وافتراء عليهم وتكفير لهم على مذهبك .

فهم لم يتركوهما وإنما تسامحوا في عدم الكتابة مع شدة تمسكهم بهذين الوصفين العظيمين لله جل وعلا ولرسوله صلى الله عليه وسلم ومع ثباتهم عليهما وشدة غضبهم على من طلب من المشركين تركهما وإحساسهم بالضيم من أجل عدم كتابتهما .

٣- قولك : " ثم لم يتنازل الرسول صلى الله عليه وسلم عن شيء من الرسالة، وإنما تنازل عن لفظ الصفة، وكان ذلك مع أناس مشركين لا يعترفون به أصلاً " اهـ.

- أقول :

أ- من الذي قال إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم تنازل عن شيءٍ من الرسالة أو تنازل عن الرسالة غير فالح !

ب- من قال : إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم تنازل عن لفظ الصفة إلاَّ فالح فواللهِ ما تنازل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لفظة (**رسول الله**) وإنَّما تسامح بعدم كتابته (**محمد رسول الله**) مع تمسكه بالصفة لفظاً ومعنى حيث قال صلى الله عليه وسلم : (**والله إنِّي لرسول الله وإن كذَّبتموني**)

فأنتَ كالمستجير من الرمضاء -ولا رمضاء- بالنَّار ! تبالغ في الإرجاف على ربيع لأنّه قال : تسامح في عدم الكتابة وتقذفه ظلماً بأنَّه قد قال : إنَّ رسول الله تنازل عن رسالته !

وأنتَ تكرر وتؤكد أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم تنازل عن وصفه بالرسالة وتنازل عن لفظ الصفة فأيُّهما الأشدّ ؟

القول بالتسامح بعدم الكتابة .

أو القول بأنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تنازل عن وصف نفسه بالرسالة ! والرسول صلى الله عليه وسلم يُؤَكِّد أنَّه رسول الله وإن كذَّبوه ونَفَوْا عنه وصف الرسالة بقولهم : (**لو نعلم أنك رسول الله لم نقاتلك**) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مُؤكداً إثبات هذا الوصف لنفسه : (**والله إنِّي لرسول الله وإن كذَّبتموني**) .

فما رأيُ فالح وأنصاره المغاوير الغيورين ؟!

٤ – قول فالح : " فلا مفسدة فيما طلبه المشركون وإنَّما المفسدة لو طلبوا ما لا يحلُّ من تعظيم آلهتهم " !!

– **أقول** : وهل طلَبُ المشركين من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يكتب (**بسم الله الرحمن الرحيم**) وأن لا يكتب : (**محمد رسول الله**) حلالٌ ؟!!

كلاَّ واللهِ إنَّها لجريمة كبرى من جرائم المشركين ومفسدة عظمى .

وهل في ذلك مصلحة للإسلام وللرسول صلى الله عليه وسلم وللمسلمين ؟!!

نعوذ بالله من الجهل وتحليل أشد أنواع الحرام والتهوين من الأمور العظام .

وأؤكد أنه لا مساواة أبداً بين (**بسم الله الرحمن الرحيم**) وبين (**باسمك اللهم**) إذ هذه المساواة تقوم على تجاهل اسمين عظيمين لله كان يكفر بهما قريش وينفرون منهما أشد النفور ،قال تعالى : (**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُوراً**) (الفرقان ٦٠)

وقال تعالى : (**قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**) الآية (الإسراء ١١٠)

وأؤكد أنه لا مساواة بين (**محمد بن عبد الله**) وبين (**محمد رسول الله**) ،إذ أنَّ قريشاً والعرب كانوا يؤمنون بمحمد بن عبد الله ،وقد لبِث فيهم عُمُراً وهم يُسلِّمون بأنه (**محمد بن عبد الله**) ،وما زالوا على ذلك حتى بعد الرسالة وبعد قتالهم له في بدر وحنين والأحزاب ،وإلى أن مات منهم من مات ،وقتل منهم من قتل ،وهم على ذلك .

وأما (**محمد رسول الله**) فقد كفروا بها وكذَّبوه فيها ورموه بالسحر والكهانة وطعنوا فيه أشد الطعون ،وأخرجوه وأصحابه من مكة من أجلها وما يتبعها وأكَّدوا هذا الإنكار بشدة في صلح الحديبية ،ورفضوا أن يكتب (**بسم الله الرحمن الرحيم**) ،وأن يكتب (**محمد رسول الله**) ،وصمَّمُوا على ذلك ،وألجئ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلجاءً إلى ما اقترحوه عليه ،وهو كارهٌ لذلك ،وألجئ أصحابه كذلك إلى ما اقترحته قريش وهم كارهون ،لا على أساس أنهم يؤمنون بالمساواة بين ما رضيه الكفار واقترحوه ،وبين ما بغضوه وحاربوه ورفضوه ولكن من أجل اعتبارات كثيرة،منها مراعاة المصالح والمفاسد .

ومنها : انتظار تحقيق ما وعد الله به من النصر والفتح العظيم الذي يعلو به الإسلام وتعلو به شهادة أنَّ محمداً رسول الله ،ويُظهِرُ الله دينه على دين قريش والعرب والأديان كلِّها .

وهو الأمر الذي أدركه رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما قال له عمر–رضي الله عنه– : كيف نعطى الدنية في ديننا ؟ فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**إني رسول الله ،لست أعصيه ،وهو ناصري**) يريد ما وعده الله به من النصر العظيم والفتح المبين.

– **وأقول** : إن الذي يرى المساواة في هاتين القضيتين هو أحق بأن يقال فيه إنه تنازل عن وصف الله بالرحمة ،وتنازل عن وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم

بالرسالة ألا وهو فالح ،فعليه أن يتوب إلى الله توبة نصوحا من هذه المساواة الباطلة الخطيرة ،وأن يعلن ذلك ،وأن يعلن توبته مما رماني به من الفواقر ومنها أني قلت : إنَّ رسول الله تنازل عن رسالته ! .

٥ – نقل فالح في صارمه عن النووي من شرحه على مسلم ٣٨٣/٦ الكلام الآتي: " قوله فقال : النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم قال سهيل : أما بسم الله فما ندري ما بسم الله الرحمن الرحيم، ولكن اكتب ما نعرف باسمك اللهم. **قال** العلماء : وافقهم النبي صلى الله عليه وسلم في ترك كتابة بسم الله الرحمن الرحيم ،وأنه كتب باسمك اللهم وكذا وافقهم في محمد بن عبد الله ،وترك كتابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا وافقهم في رد من جاء منهم إلينا دون من ذهب منا إليهم ،وإنما وافقهم في هذه الأمور للمصلحة المهمة الحاصلة بالصلح مع أنه لا مفسدة في هذه الأمور ،أما البسملة وباسمك اللهم فمعناهما واحد ،وكذا قوله محمد بن عبد الله هو أيضا رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وليس في ترك وصف الله سبحانه وتعالى في هذا الموضع بالرحمن الرحيم ما ينفي ذلك ،ولا في ترك وصفه أيضا صلى الله عليه وسلم هنا بالرسالة ما ينفيها فلا مفسدة فيما طلبوه ،وإنما كانت المفسدة تكون لو طلبوا أن يكتب مالا يحل من تعظيم آلهتهم " اهـ.

– **أقول** : قد أجبتُ على بعض هذا الكلام في بحثي (**هل يجوز التنازل عن الواجبات مراعاة للمصالح والمفاسد وعند الحاجات والضرورات**)

فقلتُ : لو كان معناهما واحداً فلماذا رفض سهيل بن عمرو كتابة (**بسم الله الرحمن الرحيم**) ورضي بكتابة (**باسمك اللهم**) ؟! .

ولماذا غضب الصحابة من كتابة (**باسمك اللهم**) وحلفوا ألا يُكتَب إلا (**بسم الله الرحمن الرحيم**) لو كان معناهما واحداً ؟!

وهل يجزئ كتابة (**باسمك اللَّهم**) في صدور سور القرآن بدل (**بسم الله الرحمن الرحيم**) ؟!

وهل يجوز أن نقول حينما نقرأ سورة الفاتحة في صلاتنا أو في غيرها أن نقول باسمك اللهم . وهل وهل ...؟!!

وكذا قوله : (محمد بن عبد الله هو أيضاً رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي أن معناهما واحد .

– **فأقول** : لو قال : كافر يريد الدخول في الإسلام أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد بن عبد الله أيدخل بهذا في الإسلام ؟! وإذا قال المؤذنون في أذانهم أشهد أنَّ محمد بن عبد الله أيصحُّ هذا منهم ؟! وهل يجزئ المصلي في تشهده أن يقول أشهد أن محمد بن عبد الله ، إن قلت لا يصح شيء من هذا كله قلنا إذن بطل القول بأن المعنى فيهما واحد) اهـ.

وأضيف الآن ما يأتي : إنَّ رسول صلى الله عليه وسلم رأى الفرق الهائل بين (**محمد بن عبد الله**) وبين (**محمد رسول الله**) ويرى أنَّ قريشاً قد كذَّبوه حين رفضوا كتابة (محمد رسول الله) فقال مؤكداً أنَّه رسول الله : (**والله إنِّي لرسول الله وإن كذَّبتموني**)

والصحابة رضوان الله عليهم كانوا يرون الفرق بين (**محمد رسول الله**) وبين (**محمد بن عبد الله**) ولهذا أصرُّوا على كتابة (**محمد رسول الله**) .

وقال علي –رضي الله عنه– : (**والله لا أمحاه**) انطلاقاً من إيمانه بهذا الفرق . وانطلقت قريش من هذا التفريق .

ونسأله فنقول : إنَّ كثيراً من الناس يُسَمَّون بـ (محمد بن عبد الله) وإذا سُئل أحدٌ منهم عن اسمه يقول : (أنا محمد بن عبد الله) فهل يُقال لهم إنَّكم قد ادَّعيتم الرسالة لأنَّه لا فرق بين (محمد بن عبد الله) وبين(محمد رسول الله) ؟!

ولو وصف أحدٌ – غير رسول الله– نفسه بأنَّه (محمد رسول الله) فما مصيره ؟

لا يتردد مسلم في أنَّه قد كفر بالله وكذَّب رسوله صلى الله عليه وسلم . وكذلك من يصفه بهذا الوصف .

وبهذا البيان يظهر لطالب الحقِّ الفروق الهائلة بين (**بسم الله الرحمن الرحيم**) وبين (**باسمك اللَّهم**) ،وبين (**محمد رسول الله**) الذي يُنكره الكفَّار ويكفرون به وبين (محمد بن عبد الله) الذي يعترفون به ولا يُنكرونه بحال .

لقد قلت أنا : إنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم تسامح بعدم كتابة (**محمد رسول الله**) تفريقاً مقصوداً أريد به التفريق بين عدم الكتابة وبين التنازل عن وصفه بالرسالة . وسقتُ في الوقت نفسه قوله صلى الله عليه وسلم : (**والله إنِّي لرسول الله وإن كذَّبتموني**) وذكرتُ هذا مرَّتين في السياق وأكَّدتُ ذلك بتأكيدات في السياق نفسه .ألاَ يرى كل مسلم مُنصف ظُلمَ هذا الرَّجل وافتراءَهُ عليَّ هذه الفرية العظيمة .

٦– قال فالح معلقاً على كلام النووي مستفيداً منه : (وهذا يدل على أنه لم يكن محو رسول الله من الكتابة محواً لرسالته فكيف يقال عنها إنها أصل من الأصول ..) الخ .

– أقول :

١– من قال أنَّ محو (رسول الله) من الكتابة محوٌ لرسالته بيِّنه وأين هذا القول ؟ أُنقُلْه لنا بنصِّه وفصِّه وإلاَّ فقد برهنتَ على تعسُّفك وظلمك .

وأما قولي : إنَّ كتابة (بسم الله الرحمن الرحيم) وكتابة (محمد رسول الله) من الأصول فهذه وجهة نظر أرى أنَّها صحيحة لاعتبارات وقد سقتُ أدلَّتي على ذلك غير مرَّة ومنها أنَّ البسملة أصلٌ في كتابة سور القرآن لا بُدَّ منها وأنَّها أصلٌ في مكاتبة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك خلال دعوتهم إلى الإسلام والإيمان برسالته .

وكذلك كتابة محمد رسول الله في الكتب التي كان يبعث بها إلى ملوك الدنيا

وجبابرتها ؛يدعوهم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام وإلى الإيمان برسالته صلى الله عليه وسلم ،فلا بدّ من كتابتها .

فأعتقد أن ذلك أصل في الإسلام يلزم من يراسل الملوك وغيرهم كتابيا أن يكتبها لا سيما إذا كان تبليغ الرسالة لا يحصل إلا عن طريق المكاتبة .

والعلماء يقولون : هذا الحديث أصل في كذا ،وهذه الآية أصل في كذا وكذا وهذا العمل من رسول الله صلى الله عليه وسلم أصل في كذا ... ولا يعترض عليهم أهل العلم .

فما بال الحدادية الجديدة تستشيط غضباً ،وتقيم الدنيا ولا تقعدها على اعتباري كتابة (**بسم الله الرحمن الرحيم**) وكتابة (**محمد رسول الله**) أصلين ؟!

ألا إنه الهوى والشغب .

وهبْ أنَّ هذا خطأٌ–وما هو بخطإ– ،فهل فيه تعظيم لاسم الله وصفته ولرسول الله صلى الله عليه وسلم ورسالته أو هو هدم لهما ؟!

إنَّك تبني من الحبَّة قُبَّةً (!) لأنَّك فارغ العقل واليدين من الحجج على أباطيلك فتذهب ترمي الأبرياء بالبوائق .

– المسألة الثالثة : إبطال فرية أخرى :

– قال فالح في (الصارم المصقول ص٢٤–٢٧) : " قال الحافظ ابن حجر رحمه الله ضمن فوائد الحديث الوارد في صلح الحديبية : " وفي الحديث –أيضاً– فضل الاستشارة لاستخراج وجه الرأي واستطابة قلوب الأتباع، **وجواز بعض المسامحة في أمر الدِّين**[1] **واحتمال الضيم ما لم يكن قادحاً في أصله إذا تعين ذلك**

(١) كلام الحافظ عليك لأنَّه قال : (وجواز بعض المسامحة في أمر الدِّين واحتمال الضيم ما لم يكن قادحاً في أصله ..) . فلم يحصرها في المستحبات فقط كما تفعل أنت !

والحافظ –رحمه الله– من أعلم الناس بأنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم قد تحلَّلوا من نسكهم بحلق رؤوسهم ونحر هديهم وتركهم للطواف والسعي في عمرتهم لأنَّهم قد أُحصروا وصُدُّوا عن المسجد = =

طريقاً للسلامة في الحال والصلاح في المآل سواء كان ذلك في حال ضعف المسلمين أو قوتهم "

وقال ابن بطال في شرحه لصحيح البخاري (٨٨/٨) : " وقال القرطبي (كذا!) : وفي كتابه –عليه السلام– باسمك اللهم، ولم يأب عليهم أن يكتبه إذ لم يكن في كتابة ذلك نقض شيء من شروط الإسلام، ولا تبديل شيء من شرائعه .. "

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز –رحمه الله– (في شرح كتاب التوحيد ص ٣٧) عند حديث ذات أنواط، واستعظام الرسول للأمر وإنكاره له : " هذا يدل على أن الاعتبار بالحقائق لا بالألفاظ؛ لأنهم طلبوا شيئاً يعظمونه ويتبركون به كما فعل بنو إسرائيل، وإن اختلفت ألفاظ الفريقين فالباطل باطل وإن اختلفت الألفاظ".

فينبغي إمعان النظر في القيد الذي ذكره الحافظ : " ما لم يكن قادحاً في أصله" والمقارنة بينه وبين كلام المدخلي ومؤيديه، بل إن المدخلي بزعمه أنَّ محو " رسول الله " أصل[1] قد وافق الخوارج الحرورية في فهمهم ،فهذا هو عين ما احتجوا به على أمير المؤمنين علي –رضي الله عنه– حينما ناظرهم عبد الله بن عباس –رضي الله عنه– ،وهي المسألة الثالثة في احتجاجهم عليه إذ قالوا له : " إنه محا نفسه من أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين ".

الحرام ؛وهذا فيه ترك واجبات هم معذورون في تركها ،وهذا داخل في قول الحافظ : (وجواز بعض المسامحة في أمر الدِّين ..) . وقد قال تعالى : (**فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ**) (البقرة ١٩٦) .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : (**قد أُحصِر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحلق رأسه ، وجامع نساءه ، ونحر هديه ، حتى اعتمر عاماً قابلاً**) رواه البخاري (٦٤٢/٢–ح١٧١٤) .

وأنتَ يا فالح لا ترى المسامحة و مراعاة المصالح والمفاسد إلاَّ في المستحبات ! .

(١) أنا لم أجعل محو رسول الله أصلاً ،وإنما قلت تسامح بعدم كتابة بسم الله الرحمن الرحيم ، وتسامح بعدم كتابة محمد رسول الله ، فاخترعت أنت من هذه العبارة الصحيحة السليمة أن ربيعاً يقول بأن رسول الله تنازل عن رسالته فأنت الذي وافقتَ الخوارج –الذين جعلوا محو الكتابة تنازلاً من عليٍّ عن الخلافة وإمرة المؤمنين– حذوة القُذَّة بالقُذَّة ! فلا تُغالط ولا تُقلِّب الأمور ،فمالك من مخرج عن مذهب الخوارج ،بل أنت أشد منهم ،فهم لم يجعلوا تسامح رسول الله بعدم كتابة محمد رسول الله ،بل ولا جعلوا محوه لكتابة محمد رسول الله تنازلاً عن رسالته ،وإنما فالح هو الذي جعل التسامح بعدم الكتابة تنازلاً .

فحجهم بقوله صلى الله عليه وسلم : " اكتب يا علي هذا ما اصطلح عليه محمد ابن عبد الله" ثم قال: " فوالله لرسول الله خير من علي ،وما أخرجه من النبوة حين محا نفسه ".

فخصمت الخوارج المارقة ،وخرج من خصومتهم ،ابن عباس–رضي الله عنهما– ومعه أهل السنة.

قال ابن حزم –رحمه الله– في الإحكام في أصول الأحكام (ص١٠٢٣) عند كلامه عن كون عمار تقتله الفئة الباغية وقول من قال إنما قتله من أخرجه فبلغ ذلك علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– فقال : " فرسول الله صلى الله عليه وسلم إذاً هو قتل حمزة"، "...، وكذلك قصة علي –رضي الله عنه– يوم القضية بينه وبين أهل الشام إذ أراد أن يكتب علي (أمير المؤمنين) وأنكر ذلك عمرو ومن حضر من أهل الشام وقالوا : اكتب اسمك واسم أبيك ففعل، فقالت الخوارج لما محا أمير المؤمنين: قد خلعت نفسك. فاحتج عليهم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك، إذ أنكر سهيل بن عمرو حين القضية يوم الحديبية أن يكتب في الكتاب (**محمد رسول الله**) **فمحا "رسول الله"** وكتب **(محمد بن عبد الله)** فقال علي: أترون رسول الله صلى الله عليه وسلم **محا نفسه من النبوة** إذْ محا (**رسول الله**) من الصحيفة ؟ قال أبو محمد : وهذا كالذي في قصة عمار سواء سواء، ولا مدخل للقياس ههنا، وإنما هو إيتساء بالنبي صلى الله عليه وسلم ،وكلا الأمرين محو من رقٍ ،ليس أحدهما مقيساً على الآخر ،وهكذا الأمر حديثاً وقديماً وإلى يوم القيامة ،وليس إذا كتبت (نار) ثم محي امتحت النار من الدنيا.

وهذا من جنون الخوارج وضعف عقولهم، إذ كانوا أعراباً جهالاً ،بل قولهم في هذا هو القياس المحقق، لأنهم قاسوا محو الخلافة عن علي، على محو اسمه من الصحيفة! وهذا قياس يشبه عقولهم، وقد علم كل ذي مسكة عقل أنه إذا محيت سورة من لوح فإنها لا تمتحي بذلك من الصدور" اهـ.

– أقول : التعليق على هذا الكلام من وجهين :

١– الوجه الأول : ليتك استفدت من كلام علي ومن كلام ابن حزم هذا فرجعت عن غَيِّكَ ،والأسوأ من ذلك أنك تريد أن تجعل من كلامهما وفقههما حجة لك وهو عليك ،وهو حجة لربيع ومن أيده ،فعبارتهما "**محا (رسول الله)**" و"**محا نفسه**" أشد بكثير على مذهبك من قول ربيع : " تسامح رسول الله بعدم كتابة محمد رسول الله " ،فعلى مذهبك الذي ترجف به على ربيع هما كافران وأما عند المسلمين وعند ربيع وإخوانه لا ثم لا ، لأن قصدهما واضح ، وسياق كلامهما يبرؤهما ،كما أن سياق كلامي وما فيه من قيود واحتياطات وتوضيحات أكثر مما في سياق كلامهما ، وذلك يبرؤني ، ومع ذلك ترجف عليَّ أراجيف يخجل منها الخوارج وسائر أهل البدع ،وهذه الأراجيف القصد منها إقناع الناس بكذبك ومنهجك التكفيري .

أياَ فالح ! كيف تُغيِّرُ جلدكَ وتتلوَّن فتظهر للناس الآن بخلاف مذهبك ؟ فتمرُّ على كلامٍ أشدّ من كلامي– على مذهبك المدمِّر– مرَّ الكرام (!) ،ثمَّ لا تكتفي بهذا المرور فترتقي إلى درجة الاحتجاج به عليَّ (إذا لم تستحِ فاصنع ما شئتَ).

٢– الوجه الثاني : إنَّ كلام ابن حزم حجة عليك ،وقياسك يشبه قياس الخوارج وأحكامك أشد من أحكامهم ،وعندك وعند حزبك من الجنون والجهل وضعف العقول شر مما عند الخوارج ،فالخوارج قاسوا محو الخلافة عن علي على محو اسمه من الصحيفة .

وفالح وحزبه سلكوا هذا الطريق في القياس ، بل أسوأ منه حيث جعلوا قولي إن رسول الله تسامح بعدم كتابة محمد رسول الله محواً لرسالته وتنازلاً عنها .

ولجهل فالح وغبائه لم يدرك علة هذا القياس ووجه الشبه بينه وبين الخوارج.

ولقد أعماه الله عن إدراكه عقوبة له على ظلمه ، وليشهد بنفسه وما خطته يداه على نفسه .

فلله الحمد على انتصاره لأنصار دينه والذابين عنه ،ونحن والناس كلهم يؤمنون أنه إذا محيت سورة من لوح فإنها لا تمحى من الصدور .

لكن مذهب فالح والخوارج المعاند يقتضي محوها ،ومن هنا قالوا ما قالوا من الظلم والباطل .

– قال فالح (في صارمه ص٢٦) : (وحال ربيع في جميع المسائل التي طبَّق جهله فيها عليّ وأصدر عليّ بها أحكامه الجائرة كما قال ابن حزم –رحمه الله– في جهل الخوارج وخواء عقولهم وسفاهة رأيهم) اهـ.

– **أقول** : إنَّني لم أظلمك بشيء أبداً في جميع المسائل التي ناقشتُك فيها ولا في أحكامي ،وإنما نصحتُك عن ظلمك للناس وأحكامك الجائرة ،التي تنطوي على أشد أحكام التكفير ،ونصحتُك عن قواعد وأصول فاسدة ،فذهبت تحارب وتقلب الأمور وتتجنى بالباطل كما في كلامك هذا وغيره ،وأنت الذي تدعو إلى التقليد الأعمى وتتعصب لذلك ولأرائك الباطلة ،وأنت الذي ظلمتَ ربيعاً في كل ما تنسبه إليه ،وفي أحكامك عليه وعلى إخوانه السلفيين من علماء وطلاب علم ودعاة إلى الله ،وأنت وحزبك الجهال أشبه بالخوارج في خواء العقول وسفاهة الرأي ،والسعي في إسقاط المنهج السلفي وعلمائه .

– ثمَّ استدلَّ بأبياتٍ لابن القيم حيث يقول :

العلم معرفة الهدى بدليله ما ذاك والتقليد مستويان

وتعر من ثوبين من يلبسهما يلقى الردى بمذمة وهوان

ثوب من الجهل المركب فوقه ثوب التعصب بئست الثوبان

وتحل بالإنصاف أفخر حلةٍ زينت بها الأعطاف والكتفان

– **أقول** : ومن العجب أن تحتج بأبيات ابن القيم–رحمه الله– وهي تنطبق عليك وعلى حزبك فلا تنزلها على أهل السنة وعلمائهم الدعاة إلى الكتاب والسنَّة .

فأنت وحزبك الجهال الذين تلبسون ثياب الجهل والتعصب الأعمى ،وغيركم هو المتحلي بالعلم والإنصاف .

– ثمَّ قال فالح : (وبهذا فإن الخوارج أفرطوا بما اعتقدوه أصلاً ،وعقدوا عليه ولاء وبراء فكفروا وربيع فرّط بما اعتقده أصلاً وعقد عليه هو ومن تبعه ولاءً وبراءً يضلل مخالفه ويجعل أصوله فاسدة!! ويأمر بهجره !! والحق بين هذين الطرفين المذمومين : الإفراط والتفريط : الغلو والتقصير :

ولا تغل في شيء من الأمر واقتصد كلا طرفي قصد الأمور ذميم

وإن ما ذكرناه لكاف في هذا المقام الهام الدقيق فهي حجج كثيرة ،وأدلة متظافرة ،وفيض من كلام أهل العلم، وكل ذلك يظهر بوضوح أن هذه المسائل ليست من الأصول كما يزعم المدخلي ومن معه فلا دليل لهم بها على مذهبهم في التنازل عن الأصول .

وفيما أوردناه مقنع لطالب الحق وناشد الصواب، ولو ذهبنا نستقصي كلام أهل العلم لكان بسطاً لا حاجة إليه، وهنا يقف القلم، ويحجم الفارس عن الإقدام ، والحمد لله على عظيم ألطافه ،وعميم توفيقه والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجني عليه اجتهاده) ا هـ .

– **أقول : الله أكبر**

إنَّ في ما نقلتَه عن ابن حزم يُدينُك بأنَّك على منهج الخوارج والمشابهة بينك وبينهم في الشَّغب القائم على الجهل والهوى واضحة .

وبيان ذلك أنَّ أسلافك الخوارج شغبوا على الخليفة الراشد علي بن أبي طالب ومن معه من الصحابة وسائر المسلمين بأمور كفَّروهم بها ومنها : أنَّ عليًّا –رضي الله عنه– تسامح في عدم كتابة (**علي أمير المؤمنين**) تلبية لطلب أهل الشام بأن

يكتب (**علي بن أبي طالب**) بدل (**علي أمير المؤمنين**) فوافقهم على هذا الطلب من أجل المصلحة وجمع الكلمة فكتب (**علي بن أبي طالب**) .

فشغب عليه الخوارج وقالوا : قد محوتَ نفسك من إمارة المؤمنين فأنتَ أمير الكافرين فتُب من هذا الكفر (!) .

ولما ناظرهم ابن عباس–رضي الله عنهما– في هذه القضية [1] بيَّن لهم أنَّ عدم كتابة (**أمير المؤمنين**) أو محوها ليس معناه التنازل عن إمارة المؤمنين . كما أنَّ محو رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية كتابة (**رسول الله**) ،وأمره بكتابة (**محمد بن عبد الله**) بدلاً عنها ليس محواً لرسالته ؛فأدرك كثير منهم أو أكثرهم أنَّهم كانوا على باطل فتابوا إلى الله ورجعوا إلى الحقِّ والطاعة والجماعة.

وفالح والحدادية الجديدة سلكوا في التعامل معي ومع السلفيين مسلك الخوارج مع علي وأصحابه ! .

---

(١) إشارة إلى الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده (٣٤٢/١) من رواية أبي زميل قال حدثني عبد الله ابن عباس قال لما خرجت الحرورية اعتزلوا فقلت لهم : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية صالح المشركين فقال لعلي اكتب يا علي هذا ما صالح عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك ،فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : امح يا علي ،اللهم إنك تعلم أني رسولك امح يا علي واكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله ،والله لرسول الله خير من علي ،وقد محا نفسه ،ولم يكن محوه ذلك يمحاه من النبوة أخرجت من هذه ،قالوا نعم " وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه(١٥٨/١٠-١٦٠) والنسائي في الكبرى (٤٨٠/٧-٤٨١) حديث (٨٥٢٢) ،والطبراني في الكبير (٣١٣/١٠-٣١٤) حديث (١٠٥٩٨) ،والحاكم في المستدرك (١٥٠/٢-١٥٢) ،والبيهقي في السنن الكبرى (١٧٩/٨) والضياء في المختارة (٤١٠/١٠-٤١١) .

فإن قال قائل : إن كلام ابن عباس الذي تداوله الأئمة محفوف بقرينة تمنع قصد المعنى الباطل ، هذا بالإضافة إلى واقعه وإيمانه الذي لا يشك فيه .

قلت : وهذا ما أدين الله به ، ويدين به كل مسلم ، من وقت أن قالها ابن عباس إلى الآن ، لكن هذه القرينة لا تنفع ولا تجدي شيئاً في منهج فالح والحدادية المهلك الذي تسلطوا به على الشرفاء ، الذي لا يلتفت إلى القرائن والذي لا يلتفت أهله إلى لدلائل الواضحة .

ولو قال هذا الكلام عالم معاصرٌ لأقاموا الدنيا عليه وأقعدوها ،انطلاقاً من منهجهم المدمر ،ولي على ذلك أدلة منها أنهم أقاموا الدنيا وأقعدوها على كلام قلته ،أخف مما قاله ابن عباس ،وتداوله العلماء ،مع أنه قد حفته قرائن كثيرة فلم تحجزهم براءة الكلام ،ولا ما حفه من قرائن ،ولا ما تلاه من تأكيدات وبيانات ،تدحض افتراءاتهم بل ما زادهم إلا عتواً وعناداً ،والأدهى والأمر أنهم ولَّدوا منه ما يقتضي أعظم أنواع الكفر ،فقالوا إن ربيعاً يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم تنازل عن رسالته ،(**كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً**) .

فقالت الحدادية : إنَّ قول ربيع (إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم تسامح في عدم كتابة محمد رسول الله) معناه (أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم تنازل عن رسالته) !! ونسبوا ذلك إليه بكل وقاحة ،قاصدين بذلك تكفيره وتكفير كل من يؤيده ،إلا أن الفرق بينهم وبين الخوارج أنَّ الخوارج – على ضلالهم وشرِّهم– عندهم شجاعة وصراحة ،فصرحوا بالتكفير ،والحدادية جبناء ،وأهل تقيَّة ،فلم يجرؤوا على التصريح بالتكفير .

– **أقول** : وفي مناظرة واحدة من ابن عباس تراجع أكثر الخوارج وتابوا إلى الله تعالى من ظلمهم وارتدعوا وأنابوا واقتنعوا بحجة ابن عباس أنّ محو الكتابة لا يعني إسقاط النبوَّة ،ولا إسقاط خلافة علي ، وكان التائبون منهم كما في مصنف عبد الرزاق عشرون ألفاً .

والحدادية رأوْا أنَّ قول القائل :(إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تسامح بعدم الكتابة) يعني إسقاط رسالته (!)

ولقد كتبتُ للحدادية مقالات تحوي حُججا كثيرة تبيِّن كذبهم وظلمهم فلم تُقنعهم ولم تردعهم ولم تُحرِّك في ضمائرهم ساكناً من الباطل والهوى ولم ترجعهم عن ظلمهم الخطير الهادف إلى التكفير (!) .

هذا بالإضافة إلى أنَّ كتابتي لهذا (التسامح) كانت محفوفة بأدلَّة وقرائن تردع المؤمن عن أي تفكير في أيِّ شيءٍ ممَّا أقدم عليه الحداديون ونسبوه إليَّ .

وقد بيَّنتُ ذلك مراراً وتَكراراً ممَّا يُؤكد أنَّ هذه الحدادية أسوأُ حالاً من الخوارج وأشدُّ ظُلماً وبُهتاً وإصراراً على الباطل والظلم .

وعلى كُلٍّ فقد تبيَّن لكلِ ذي لُبٍّ وإنصاف أنَّ ما احتجَّ به فالح من كلام ابن حزمٍ –رحمه الله– فإنَّما هو حجة وتأييد لي من حيثُ لا يُدرك فالح (!) وذلك من استدراج الله له وسوقه له إلى الحفر التي حفرها لغيره فارتطم فيها (!)

ثمَّ إنَّ طعن ابن حزم في الخوارج بالجهل وضعف العقل ... إلى آخره ينطبق على فالح وحزبه الحدادي ،بل لو أدركهم لقال فيهم شراً مما قال في الخوارج (!) لأنَّ الخوارج – على ضلالهم – أهل صدقٍ وعبادة .

وهؤلاء الحدادية أهل كذب وفجور ومساوئ أخرى منها سوء أخلاقهم .

ولي مأخذ على ابن حزم –رحمه الله– في هذا الكلام وهو إنكاره للقياس (قياس قضية علي–رضي الله عنه– في محو الكتابة على قضية رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديبية) في محو الكتابة أيضاً ، فالقياس فيها واضح في كلام علي وكلام ابن عباس .

وقد أثنى ابن القيم على احتجاج ابن عباس على الخوارج ، واعتبر قياسه أحسن القياس وأوضحه ، انظر إعلام الموقعين (١/٢١٥) .

وقد تقبَّل فالح إنكار ابن حزم للقياس ، فلا أدري عن معرفةٍ أو عن جهلٍ : وأحلى الأمرين مُرٌّ (!!) .

وأخيراً : فقد تبيَّن للقارئ الكريم جهل فالحٍ وافتراءاته وعدم فهمه لما ينقله من كلام العلماء فهو كحاطب ليل (!) ينقل الكلام يظنُّ أنَّه له وهو عليه ويُضيف إلى ذلك رمي الأبرياء بمثالبه ومعايبه ويُحاول إضفاء هالات النَّزاهة والبعد عن نقائصه المعروفة وليس ذلك بنافعه عند الله تعالى وعند من يعرف واقعه وحقيقة حاله .

نسأل الله تعالى أن يُعافيَ المسلمين من هذه البلايا والرزايا المُهلكة

إنَّ ربَّنا لسميع الدُّعاء

وآخر دعوانا أَنِ الحمد لله ربِّ العالمين .

وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

كتبه :

ربيع بن هادي بن عمير المدخلي

٢٠ شوال ١٤٢٦هـ